

التربية في زمن كورونا.. تجارب ومقترحات..!!

عبد الزرّاع *

تأثر الأطفال بانتشار فيروس كورونا "كوفيد - ١٩" تأثراً كبيراً، فتغير أسلوب حياتهم ومعيشتهم؛ إذ مُنعوا فجأةً من الذهاب إلى المدارس، والحضانات، والخروج من البيت مع الأصدقاء، أو لزيارة الجد والجدة، أو الذهاب إلى النوادي، أو دور السينما، أو ممارسة الرياضة، والألعاب الترفيهية والشعبية التي كانوا يمارسونها في الشوارع، وحدث لهم ما يشبه الصدمة؛ خاصةً من كثرة الأوامر والنواهي التي تُوجّه إليهم لأداء الإجراءات الاحترازية؛ مما أدى إلى ارتباك الأطفال، من جرّاء جلوسهم في البيوت لفتراتٍ طويلةٍ دونما حركة، والطفل بطبيعته يميل إلى كثرة الحركة خاصة في المراحل العمرية الأولى؛ مما أدى بدوره إلى صدامه الدائم مع الوالدين، وقد انتشرت حالة من حالات العصبية والعنف في البيوت، وقد أدت هذه الأمور إلى انتشار حالات مرَضِيَّة متباينة بين الأطفال كحالات الانطواء والعزلة، وعدم رغبتهم في التواصل مع أصدقائهم وأفراد أسرّتهم ودخولهم في حالة اكتئابية صعبة، بينما راح أطفال آخرون يعكفون على الألعاب الإلكترونية الموجودة على هواتفهم المحمولة بالساعات الطويلة، ينسون خلالها تناول الطعام والشراب، وينقطع معها التواصل الحميم والصحي بين أفراد الأسرة، ومعظم هذه الألعاب تنطوي على العنف، والقتل، والسرقة، والخديعة؛ مما يرسخ في نفوسهم ثقافة العنف، وانعكس هذا بصورة واضحة على تعاملاتهم مع أفراد عائلتهم، كما أثر بشكل واضح على التحصيل الدراسي، وأدى إلى ضعف الذاكرة.

وهناك آثار جسدية تعرض لها بعض الأطفال من جرّاء خوفهم الشديد من هذا الفيروس القاتل، فأصيبوا بالتبول اللاإرادي أثناء نومهم ليلاً، وأثبتت بعض الدراسات الحديثة التي أُجريت

* شاعر وكاتب أطفال وباحث في مجال ثقافة الطفل- مصر.

مؤخراً أن نسبة الإصابة بين الأطفال في الفترة من يناير إلى أبريل زادت بنسبة ٢٥ إلى ٣٠٪ طفلاً تعرضوا لهذا المرض.

المنصات الإلكترونية:

وقد واكب حالة الحظر المنزلي لساعات طويلة تغيير نمط الحياة، والتلقي، فانتشرت المنصات الإلكترونية الخاصة بين الأفراد وبعضهم البعض، وانتشار الفيديوهات بكثافة على مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك/ تويتر/ واتس آب.." تحمل تحذيرات من الفيروس، وكيفية الوقاية منه؟ وكذلك انتشرت المنصات الإلكترونية الحكومية في الوزارات المختلفة، وقد قامت بعض وزارات الثقافة العربية بإقامة منصات إلكترونية خاصة بثقافة وفنون الطفل، تبث من خلالها ورش الحكي، والرسم، والموسيقى، وبعض العروض المسرحية، والأراجوز، وخيال الظل، وغيرها، وشارك الأطفال أنفسهم في تلك الفقرات الفنية بالغناء، والعزف، والرسم، والحكي، وأرى أنها ظاهرة إيجابية استطاعت أن تخفف من الضغوط المجتمعية وحالة القلق التي يعيشها الأطفال، من جرّاء العزل المنزلي الذي تعرضوا له.

كما استحدثت وزارات التربية والتعليم، أسلوبها في التعليم بما يواكب الوافد الجديد، فأصبح التلاميذ يتلقون دروسهم إلكترونياً على التابلت المدرسي؛ وكذلك الامتحانات "أون لاين"، ورغم أن هذه التقنية جديدة على التلاميذ فإنهم أحبوا، وأصبحت بديلاً عن المدرسة والمدرس.

تجارب ناجحة:

وهناك بعض تجارب الـ "أون لاين" المصرية، التي نجحت في استقطاب الأطفال وحازت إعجابهم وتابعوها بشغف كبير، وخففت عنهم وطأة الشعور بالملل، وفجرت مواهبهم الأدبية والفنية.

قناة المركز القومي لثقافة الطفل:

منذ انتشار الجائحة، ومع فرض حالة الحظر المنزلي، تحول النشاط الثقافي المتنوع من ندوات، وأمسيات، ومحاضرات، ولقاءات فكرية، ومؤتمرات، إلى المنصات الإلكترونية بتوجيه من وزيرة الثقافة المصرية الدكتورة إيناس عبد الدايم، لكل قطاعات وزارة الثقافة، وفي هذا الإطار قام المركز القومي لثقافة الطفل بالقاهرة، برئاسة الكاتب محمد عبد الحافظ ناصف، بإنشاء قناة

على اليوتيوب لتفعيل دوره في نشر ثقافة وفنون الطفل، وخصّص فريق عمل من موظفي المركز المهوبين والفنانين لإدارة القناة، وقد استعانت الإدارة بكتاب ورسمي وفنّاني الطفل؛ للمشاركة في برامجها، كما استعانت بالعديد من الأطفال المهوبين في الكتابة، والرسم، والموسيقى، والتمثيل، والغناء، والحكي، وغيرها من المواهب.

اعتمدت القناة من البداية على تكليف كتاب وشعراء الأطفال بإرسال تسجيلات صوتية بأصواتهم لقراءة بعض قصصهم بأسلوب الحكي، أو تكليف بعض الشعراء بتسجيل بعض قصائدهم للأطفال وإرسالها إليهم، حيث تقوم الإدارة بإعداد القصص والقصائد للبحث من خلال القناة، بعد عمل المونتاج اللازم والاستعانة بعرض رسوم الكتاب وصور الكاتب أو الشاعر، ووضع موسيقى مناسبة تصاحب القراءة أثناء البحث.

ثم تطور الأمر بعد ذلك، واستعانوا بمذيع محترف من الإذاعة المصرية، هو في الأساس كاتب أطفال الأستاذ هشام علوان، لحكي القصص وقراءة بعض قصائد شعراء الأطفال بأسلوب شائق، مع وضع موسيقى في الخلفية لجذب عقل الطفل ووجدانه. وأصبح للقناة برنامج يومي يبيث من خلاله فقرات متنوعة على مدار ثلاث ساعات من الساعة الثالثة إلى السادسة مساءً، تتنوع الفقرات بين الفقرة الأدبية، والفقرة الفنية، أما الفقرة الثالثة فهي من إبداعات الصغار، وخصصوا فترة أسبوعية لنشرة أخبار الطفل تُذاع كل يوم جمعة، وهي نشرة متنوعة تخص كل المشتغلين في مجال ثقافة وفنون الأطفال، وبها فقرة عن شخصية العدد، تتناول إحدى الشخصيات المرموقة من كبار كتاب وفنّاني الطفل، لترسيخ القيمة لدى الأطفال.

الأطفال والقناة:

اعتمدت القناة على مشاركات الأطفال في برامجها المختلفة، فهم يقومون بكتابة بعض القصص والأشعار وقراءتها من خلال القناة، وكذلك بعض ورش الحكي وورش الكتابة والرسم، ويُنشأ "أون لاين"، كما اشتركوا في برامج فنية كثيرة ومتنوعة بالتمثيل والغناء. كما تنوعت برامج القناة ف بجانب البرامج والفقرات الترفيهية، هناك بعض البرامج التعليمية التي استفاد منها الأطفال، مثل:

- برنامج معلومة في رسم:

هذا البرنامج، يستعين بفنان تشكيلي يعلم الأطفال أساسيات الرسم من أول الإمساك بالقلم

الرصاص، حتى الانتهاء من رسم لوحة كاملة، عن طريق استخدام الأشكال الهندسية وتوليد لوحات فنية بسيطة منها؛ وكذلك تعليم الأطفال كيفية توليد الألوان الفرعية من الألوان الأساسية، وما الألوان "السخنة" والباردة، والحيادية؟، وكيفية دمجها بعضها مع البعض والاستفادة منها لصالح العمل الفني، كما درب الأطفال من خلال هذا البرنامج على كيفية رسم البورتريه.

- برنامج إبداعات ذوي الهمم:

وهو برنامج خُصص لعرض إبداعات الأطفال ذوي الهمم الفنية والأدبية، من معارض فن تشكيلي، وأعمال نحتية، وأشغال يدوية، واستضافتهم للحديث معهم عن هذه الأعمال المختلفة.

- برنامج عِشْها لايت:

وهو برنامج يناقش كل ما يتعلق بصحتنا وعاداتنا الغذائية للأسرة والطفل، ويناقش موضوعات تهم الأسرة المصرية بدايةً من اتخاذ القرار للشراء، وكيفية اختيار الأطعمة، وكيفية المحافظة على صحة أطفالنا، والعادات الغذائية الصحيحة، وفوائد المأكولات والمشروبات، وكل ما يهم الطفل لرفع الوعي الصحي لديه، ورفع كفاءة جهازه المناعي لمقاومة أخطار فيروس كورونا.

برامج متنوعة:

نجحت إدارة القناة خلال الفترة الماضية في تنويع برامجها وثنائها لصالح الطفل المصري وأمدته بجميع المواد العلمية، والأدبية، والفنية، والثقافية، والترفيهية، التي تفيده وترفع من ذائقته، وتساعده على الخروج من حالات الكآبة من جرّاء الجلوس لفترات طويلة في البيوت، ومن أهم هذه البرامج:

- برامج فنية:

تمثلت في تقديم بعض الفقرات الفنية، ففي شهر رمضان الماضي قدمت القناة، (أوبريت أهلاً رمضان، وفوازير "لولو ومورا"، وفوازير "المسحراتي"، الأراجوز يعظ، وعروض فنية شعبية، وعروض لفرق ذوي الهمم، وعروض لكورال الحديقة الثقافية "سلام"، وفقرات الساحر) وقد نجحت جداً هذه الفقرات خلال شهر رمضان واستمر بعضها يُقدم حتى الآن، مثل فقرات الأراجوز، والساحر، والكورال.

- برامج سلوكية:

قدمت القناة بعض البرامج السلوكية لتعليم الأطفال بعض السلوكيات الصحيحة، أو انتقاد بعض السلوكيات السلبية، والبرامج هي:

برنامج "دقيقة من فضلك" وبرنامج "حاجة تجنُّ".

وهناك برامج أخرى قُدمت بالتناوب خلال الفترة الماضية ولا زالت تُقدم حتى الآن، منها:

- مسلسل "حكايات الدكتور جلجول"، وهو مسلسل توعوي كوميدي عن "خطر مرض كورونا" قام به بعض موظفي المركز بمشاركة الأطفال.
- برنامج رياضي، بعنوان: "الرياضي الصغير" وتقدم الطفلة "روشان" بعض التمارين الرياضية البسيطة للأطفال؛ كي يؤديها في البيوت.
- برنامج مائة حكاية وحكاية: عبارة عن حكي إصدارات المركز القصصية.
- برنامج تاريخي بعنوان: "اعرف تاريخك" وهو برنامج تاريخي يسرد آثار مصر القديمة.
- برنامج "الشيف الصغير" يقدم للأطفال بعض الوجبات الصحية.
- برنامج "حكايات عبقرينو" وهو برنامج حكي قصص للأطفال من الخيال العلمي.
- برنامج "في حياتنا طفل" وهو برنامج لجميع الفئات العمرية، يتناول الطرق الحديثة لتربية الأطفال من مرحلة ما قبل المدرسة إلى نهاية مرحلة الطفولة.
- برنامج "حكايات ماما سلوى" تحكي من خلاله الكاتبة سلوى العناني بعض القصص للأطفال.
- برنامج "حصة موسيقى" وهو برنامج يقدمه المايسترو وائل عوض للأطفال، حيث يقدم بعض المقطوعات الموسيقية والحديث عنها، وتعليم الأطفال التدوُّق الموسيقي.
- برنامج "حكايات صافي" وهو برنامج يحافظ على تطوير شخصية الطفل، أقرب إلى برامج التنمية البشرية.

وغيرها من البرامج التي أسهمت ولا زالت في زيادة وعي الطفل الثقافي والفني، ورفع مخيلته الإبداعية والفنية، بل وشغلته في كل ما هو مفيد ويرفع الذوق العام، والخروج بالطفل من الحالات النفسية السيئة التي تعرض لها طيلة الفترة الماضية من جراء انتشار مرض كورونا، وأرى أنها تجربة ناجحة تُحسب للمركز القومي لثقافة الطفل والقائمين على إدارته.

قصص الأطفال:

استقر رأي رجال التربية وعلماء النفس، على أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال، سواء أكان ذلك قيماً دينية أم أخلاقية، ومعلومات علمية أم تاريخية أم جغرافية، توجيهات سلوكية أم اجتماعية.

إن حب الأطفال للقصص والحكايات، أمر شائع ومعروف. فالأسلوب القصصي، بما فيه من تشويق وخيال وربط أحداث، يمكن أن يكون الوعاء الذي نصب فيه كل ما نريد تقديمه للأطفال. كذلك فإن من أهم وسائل تنمية وعي القراءة، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة، أن نقص القصص للأطفال، وأن نعاونهم على قص القصص بأنفسهم.. أن نقرأ لهم القصص، وأن نشجعهم أن يقرأوا القصص بأنفسهم، لأنفسهم ولغيرهم. إن للقصص دوراً مهماً في التربية، سواء من ناحية توجيه السلوك، أم تنمية الخيال، أم تنمية الإحساس بالجمال، أم إدخال المتعة، أو ترقية اللغة.

كذلك فإن توجيه الأطفال، بعد استماعهم إلى قصة أو قراءتها، لرسم أحداث منها، أو إعادة كتابتها، أو تمثيل بعض مواقفها، يسهم كثيراً في تنمية خيال الأطفال، وقدراتهم الفنية واللغوية. كما أن تشجيع الأطفال على إعادة قص القصة وروايتها، ينمي فيهم القدرة على التركيز وسلامة التعبير، وقوة الملاحظة، كما ينمي فيهم الشجاعة والثقة بالنفس.

وتعد القصة الوسيلة الفنية المثالية، التي لا بد من استخدامها؛ لكي نوصل ما نريد إلى الطفل من المعلومات والقيم^(١)، وقد كتب أدباء الطفل العديد من القصص والسيناريوهات المصورة التي تتحدث عن فيروس كورونا وتداعياته، منذ انتشار المرض وحتى الآن، من خلال مجلات الأطفال المصرية والعربية، مثل: العربي الصغير، وماجد، وعلاء الدين، ونور، وسام، ونور، وقطر الندى؛ لتعريف الأطفال بخطورة هذا المرض، وكيفية الوقاية منه، بشكل فني وغير مباشر، وبعيداً عما يثير مخاوفهم، فالخوف هو إحدى القوى التي تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة إلى تكوين الشخصية، وقد يؤدي الخوف إلى تشتيت الطاقة العقلية بدلاً من توجيهها إلى الأهداف النافعة. ومن ثم فإن كتابة القصص ونشرها، لعبت دوراً محورياً في خروج الأطفال من هذا المأزق، والتخفيف عنهم، وأسهمت بشكل أساسي في التربية عن طريق الأدب وهو دور من أدواره.

مقترحات وحلول:

وفي ضوء ما تقدم، نرى أنه حدث تغيير في نمط تربية الطفل، وأصبح علينا أن نبحث عن نمط جديد للتربية يناسب تلك المرحلة؛ حتى نتغلب على سلبياتها؛ ومن ثم، نورد بعض المقترحات والحلول التي تساعد الأسرة في تربية الطفل في ظل وجود الجائحة، وتتمثل في الآتي:

– الإبقاء على الاتصال اليومي بالأصدقاء والعائلات، عادةً عبر الإنترنت أو عن طريق التليفون المحمول، وذلك لتخفيف الضغط النفسي الواقع على الأطفال من جراء العزل

المنزلي، وشعورهم بالملل، هذه الاتصالات اليومية بالأصدقاء تعوّض عدم خروجهم معهم، وتحافظ على علاقة الصداقة القوية بينهم، وكذلك الاتصال بالأهل للحفاظ على صلة الرّحم، عن طريق إنشاء جروبات على الفيس بوك أو الواتساب للتواصل العائلي، على أن يشترك فيها الوالدان كنوعٍ من المشاركة الفاعلة بين أعضاء الأسرة، أو جروبات للتواصل مع أصدقاء الدراسة.

- شَغْل الأطفال بممارسة الهوايات المختلفة، مثل: قراءة القصص، وترغيب الطفل في القراءة من الكتاب الورقيّ بنفسه، ثم يطلب الأب من الطفل إعادة حكاياتها مرة أخرى بأسلوبه، ثم كتابتها مرة ثانية، وهذه الطريقة تزيد من خيال الطفل، وتضيف إلى معلوماته الكثير، وتعمل على تنشيط الذهن، وتُخرج ما بداخله من طاقات خَلْقة ومبدعة، كما تُخرجه من حالة الكآبة التي يتعرض لها في ظل الجائحة.

- دعوة الأطفال لمشاهدة فيلم هادف من الأفلام التسجيلية لعلّ من الأعلام العربية في أيّ من المجالات الثقافية، أو العلمية، أو الاقتصادية، أو غيرها؛ لغرس قيم العلم، والتميز، والإعلاء من قيمة الرمز، أو فيلم كارتوني يحمل قيمة إيجابية تتفق وقيمتنا الدينية، والأخلاقية، وعاداتنا وتقاليدينا؛ لتحريك خيالهم، وإعمال عقولهم فيما هو مفيد ونافع، أو أحد الأفلام الاجتماعية أو الوطنية التي تحمل في طياتها رسائل تغذي لدى الطفل بعض قيم الانتماء، والوطنية، والارتباط بالأرض والوطن.

- مشاركة الأطفال في القيام بأعمال صيانة منزلية بسيطة، كتركيب بعض اللبّات الكهربائية، أو جلدة للصنوبر، ربط أنبوبة البوتاجاز، أو القيام بتنظيف الكمبيوتر أو إنزال نسخة وندوز له.. إلخ، هذه المشاركة تزيد من إحساس الطفل بأنه عضو فاعل في الأسرة، وتعطيه الثقة في النفس، والاعتماد على الذات فيما بعد، ولا تجعله يفكر كثيراً بخصوص الجائحة.

- مشاركة الأطفال في ممارسة بعض الأنشطة البدنية، كالمشي، والجري، والتمارين الرياضية البسيطة، التي تجعل الإنسان أكثر نشاطاً وحيوية، وتعمل على تنشيط الدورة الدموية، ومن الممكن أن تُمارس هذه الأنشطة داخل المنزل في إحدى حجراته، أو في الحديقة الملحقة به إن وجد، فالرياضة تجدد الطاقة، وتعمل على توفّد الذهن، وتقويّ الجسم، وتبعد الطفل عن الكآبة.

- ضرورة الحفاظ على الهدوء النفسي للأطفال عبر القيام بأنشطة مساعدة كالصلاة لزيادة الاطمئنان وتقوية الصلة بين الفرد وربه، ومشاركته اللعب المثمر، وإقامة المسابقات الفكاهية، والترويحية، والذهنية القائمة على المتعة وإعمال العقل والخيال.
- " .. يحتاج الطفل لأوقاتٍ يختار فيها لعبته المفضلة أو النشاط الفني الذي يحبه دون ضغطٍ أو فرض، وبعد ذلك فرصة لتنمية قدرته على الاختيار والاعتماد على النفس، وزيادة ثقته في نفسه مع تنمية قدرته على الإبداع والابتكار عندما لا نحدُّ تفكيره في أنشطة معينة سابقة الترتيب؛ لذلك من المفيد أن نسمح للطفل بمساحةٍ من الحرية في اليوم يقضيها كما يحب" ^(٢)؛ وحتى يكتشف ذاته وتتشكل شخصيته المستقلة من خلال اللعب.
- كما يجب "على الآباء والأسر معاونة أطفالهم أثناء فترة الحَجَرِ الإلزامي في البيوت على التكيف؛ لمتابعة منصات التعليم التي أنشأتها وزارة التعليم للتعليم عن بُعد لضمان استمرارية التعليم، وإمكانية حصول الأطفال على ما تبقى من دروسهم، وما تقوم به المدارس في الإبقاء على اتصالٍ وتواصلٍ مع الأطفال ومع معلمهم وبوسائط أخرى مع زملائهم بالفصول، وتقوم من خلال هذه المنصات بمتابعة ومواصلة الدروس وعقد الامتحانات، إلى جانب فتراتٍ لممارسة الرياضة والهوايات عبر هذه المنصات، وهو ما يمكن أن يعاون الآباء والأطفال على كسر حدة الملل والخوف، ويُعيدهم إلى أوضاعهم العادية بقدر الإمكان" ^(٣).

المصادر:

- (١) يعقوب الشاروني - ماذا تقدم القصص للأطفال - تنمية عادة القراءة عند الأطفال - سلسلة اقرأ - دار المعارف المصرية - القاهرة - ٢٠٠٥ - ص ٢٩، ٣٠
- (٢) إجلال شنودة، إيمان مكرم - في ظل جائحة كورونا: ١٠ نصائح لأولياء الأمور لمساعدة الأطفال على التأقلم مع وضع الالتزام بالبقاء في المنزل - مجلة الطفولة والتنمية - المجلس العربي للطفولة والتنمية - العدد (٣٨) ٢٠٢٠ القاهرة - ص ١٤٠.
- (٣) نبيل صموئيل - كيف نربي أبنائنا في ظل جائحة كورونا - مجلة الطفولة والتنمية - المجلس العربي للطفولة والتنمية - العدد (٣٨) ٢٠٢٠ - القاهرة - ص ١٤٤، ١٤٥.